آراء النورسي
في وجوه اعجاز القرآن الكريم

د. احمد خالد شكري *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد.

فإن القرآن العظيم بحر زاخر، ملئ باصناف اللآلئ والجواهر، وانك كلما تعمقت في دراسته وبحثه ظهر لك من لطائفه واسراره مالم تكن تعلم ولست بقانع بما اخذت ولا ببالغ غاية ما وجدت.

ومن هنا كثرت المصنفات حول القرآن الكريم وتعددت مجالات بحثها واساليب مؤلفيها. وكان من هؤلاء بديع الزمان سعيد النورسي الذي افرغ من جهده ووقته الكثير الكثير وهو يتأمل في آيات كتاب الله تعالى ويتدبر في معانيها ويقلب النظر في وجوه اعجاز القرآن الكريم، ويستنبط من لطيف المعاني وعظيم الارشادات، ويصوغ ما يظهر له من كنوز بقلمه السيال، وعباراته العميقة الدقيقة واسلوبه السهل الممتنع،فكانت (رسائل النور) نوراً يهتدي به الحائرون ويزداد به المتقون نوراً على نور ، فجزاه الله عنا خير الجزاء وجعل ذلك نوراً له وذخراً وأجراً.

وإني عندما عزمت على الكتابة عن آراء النورسي في اعجاز القرآن وجدتني اقف امام طود شامخ وعلم من اعلام العلم راسخ، وكان لابد من التشمير والبحث والسعي بجد والاطلاع بعمق علي آرائه واقواله وتكرار مطالعتها مراراً حتى تنضح تماماً ويظهر مراده منها، وكان ثمرة ذلك هذا البحث الذي اتقدم به الى المؤتمر العالمي عن بديع الزمان سعيد النورسي، والذي سيعقد في مدينة إسطنبول بتنظيم ورعاية : مؤسسة الثقافة والعلوم.

والله اسأل ان يتقبل منا صالح العمل وان يوفقنا للمزيد منه وان يرحم امامنا النورسي وسائر ائمتنا، والله ولي التوفيق.

المبحث الاول

وجوه اعجاز القرآن الكريم التي جزم بها النورسي

[يجد القارئ لمؤلفات الامام سعيد النورسي كتابات متفرقة حول اعجاز القرآن، الا ان حديثه عن الاعجاز في رسالة: (المعجزات القرآنية)، و(اشارات الاعجاز) اكثر واوضح واشمل من غيرهما من رسائله.

كما يجد القارئ في رسائل النورسي انه قد جزم بعدد من وجوه الاعجاز، وتردد في قليل منها، وبالجمع بين عباراته المتفرقة حول الاعجاز، يمكن تحديد وجوه الاعجاز التي جزم بها، والتي تم تخصيص هذا المبحث لبيانها.

الا ان القارئ يقع في حيرة بالغة حين يبحث في تحديد عدد وجوه الاعجاز عند النورسي فيجده يقرر في عدد من المواضع انها اربعون وجهاً، ويذكر في مواضع اخرى انها سبعة اوجه، بينما يصل العدد الى مئتي وجه او مئات الوجوه في بعض العبارات، فما هو مراد النورسي بهذه الاعداد، وهل هو اضطراب منه في تحديد عدد وجوه الاعجاز، او انه كان يرى عددا معيناً في السابق ثم عدل عنه الى غيره، او ان له طريقة معينة يمكن بها الجمع بين هذه الاعداد. ولحل هذا الاشكال قمت بتتبع العبارات التي ذكرت فيها هذه الاعداد، حيث يمكن بالتأمل فيها الخروج بنتيجة واضحة،] وقد رأيت ايراد هذه العبارات، ليتم بعد ذلك التوصل الى فهمها وتعيين مراد النورسي بهذه الاعداد:-

- قال في (اشارات الاعجاز): »اذ التنزيل المصدق اعجازه بسبعة اوجه في ثلاثة عشر عصراً دعواه عين برهانها...« (١)

- وقال في ذيل رسالة (المعجزات القرآنية): »..... وعجزهم عجزاً تاماً امام وجه واحد - وهو الوجه البلاغي - من بين وجوه الاعجاز السبعة الكبرى للقرآن..«(٢)

- وقال فيه: »ولقد وضحت رسائل النور ولا سيما الكلمة الخامسة والعشرون (المعجزات القرآنية) مع ذيولها اعجاز القرآن في اربعين وجهاً من وجوهها، وكذلك تفسير (اشارات الاعجاز في مظان الايجاز) باللغة العربية الذي يبين بياناً رائعا اعجاز القرآن من حيث وجه النظم بين الآيات الكريمة....«(٣)

- وقال في اللمعة السابعة: »فالاخبار الغيبي الذي هو احد انواع اعجاز القرآن له لمعات اعجازية كثيرة وكثيرة لا تعد ولا تحصى، لذا فان حصر اهل الظاهر تلك الاخبارات الغيبية في اربعين او خمسين آية فقط انما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الالف منها بل قد تكون في آية واحدة فقط اربعة او خمسة اخبار غيبية« (٤).

- وقال في المكتوب التاسع والعشرين: »لقد كتب هذا القسم لاستشارة اخواني في خدمة القرآن، وليكون تنبيهاً لي لإنقاذ ما كنت أحمل من نية مهمة حول كتابة مصحف شريف يظهر فيه نقش إعجازي وهو قسم من مئتي قسم من أقسام اعجاز القرآن الكريم..« (٥).

- وقال فيه »لقد اثبت في الكلمة الخامسة والعشرين المسماة بالمعجزات القرآنية بالبراهين القاطعة ان انواع اعجاز القرآن الكريم تبلغ اربعين نوعاً وقد بين بعض انواعه مفصلاً حتى إزاء المعاندين، بينما ظلت انواع اخرى بصورة مجملة«.(٦)

- وقال فيه : »والآن بعد ان توضح سر تلك الحكمة اقتنعنا قناعة كاملة بان تأخيره كان هو الاولى، ولتيسير فهم تلك الطبقة وتسهيلاً لهم ليتذوقوا نوع الاعجاز للقرآن، استكتبنا مصحفاً شريفاً يبين ذلك الوجه من الوجوه الاربعين للاعجاز« (٧).

وقال في المكتوب التاسع عشر: »ان اعظم معجزة من معجزات الرسول الاكرم ﷺ هو القرآن الكريم الذي يضم مئات دلائل النبوة، وقد ثبت إعجازه باربعين وجهاً كما في الكلمة الخامسة والعشرين....« (٨).

- وقال فيه: »كون القرآن الذي بيده ﷺ معجزاً من سبعة اوجه، ذلك الامر الصادر من مالك الكون الذي يسلم به ويصدقه اكثر من ثلاث مئة مليون من البشر في كل عصر، ولما كانت الكلمة الخامسة والعشرون اي رسالةالمعجزات القرآنية وهي شمس رسائل النور قد اثبتت بدلائل قوية ان هذا القرآن الكريم معجز من اربعين وجهاً وانه كلام رب العالمين... « (٩)

بعد الاطلاع على هذه العبارات من رسائل النور، نجد ان النص الذي يذكر لمعات اعجازية كثيرة لا تعد ولا تحصى يوضح ان هذه اللمعات كلها تندرج تحت نوع واحد من انواع اعجاز القرآن وهو: الاخبار الغيبي.

ويظهر من النص الذي يذكر انها مئتا قسم انها اقسام فرعية من ضمن اوجه اعجاز القرآن العامة.

تبقى بعد ذلك النصوص التي تذكر انها سبعة اوجه وانها اربعون وجهاً ، وبالتأمل في هذه العبارات نجد انهاتحيل في بيان الاوجه الاربعين الى رسالة المعجزات القرآنية التي تم فيها ذكر وتفصيل هذه الاوجه. ويتبين لمن يطلع على هذه الرسالة ان النورسي كان يذكر احد اوجه اعجاز القرآن باجمال ثم يبينه من خلال الجزئيات المندرجة تحته. وبهذا يتبين لنا ان مراد النورسي بالاوجه السبعة للاعجاز: الاوجه العامة او الرئيسية، وبالوجوه الاربعين: التفصيلية الدقيقة او الفرعية المندرجة تحت الاوجه العامة.

وبهذا يتبين مراد النورسي في عدد وجوه اعجاز القرآن، وسأقوم في هذا المبحث بمحاولة تحديد الوجوه السبعة الكبرى اوالعامة لاعجاز القرآن الكريم - كما يراها النورسي - حيث لم يفصح عنها، بعد محاولة ازالة التداخل والتكرار بينها، مع ملاحظة ان عدداً مما ذكره النورسي على انه من وجوه الاعجاز هو في الحقيقة نتيجة وثمرة لما سبق تقريره من وجوه الاعجاز، وسأتبع هذا المبحث بجدول يبين وجوه الاعجاز المذكورة في رسالة: (المعجزات القرآنية).

١- نظم القرآن: يرى النورسي ان النظم القرآني هو الوجه الاول والاظهر من وجوه اعجاز القرآن الكريم. ولاظهاره وبيانه وضع رسالته القيمة ومصنفه: (اشارات الاعجاز) حيث قام بتفسير الآيات التي تعرض لتفسيرها بما يظهر هذا الوجه من اعجاز القرآن وكان منهجه فيه: البدء بمقدمة يجعلها مدخلاً لتفسير الآية او الآيات وقد يتركها احياناً، ثم يبين بعد التفسير نظم الآية مع ما قبلها وما بعدها ثم نظم الجمل في الآية ثم نظم الكلمات والحروف في الجملة، كما أشار في ثنايا هذا الكتاب الى هذا

الوجه مراراً ، فمن ذلك قوله: »ان مقصدنا من هذه الاشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن لان الاعجاز يتجلى من نظمه وما الاعجاز الزاهر الا نقش النظم«(١٠) وقوله: »اعلم ان اساس اعجاز القرآن الكريم في بلاغة نظمه، وبلاغة النظم على قسمين: قسم كالحلية، وقسم كالحلة ..« (١١) وقوله: »وادق وجوه اعجاز القرآن الكريم ما في بلاغة نظمه« (١٢). ولذا قال الدكتور محسن عبد الحميد في تقديمه لكتاب الاشارات » وكأني بالاستاذ النورسي درس نظرية النظم هذه دراسة متقنة، ثم ظهر له ان المفسرين الذين سبقوه كالزمخشري والرزي وابي السعود لم يحاولوا تطبيقها من حيث هي منظومة متكاملة تشمل ترتيب السور والآيات والالفاظ، سورة بعد سورة، وآية بعد آية ولفظاً بعد لفظ، بتفاصيلها الكاملة، فأراد ان يقتدي بهؤلاء المفسرين العظام فيؤلف تفسيراً يطبق فيه نظرية النظم تطبيقاً تفصيلياً شاملاً من حيث المباني والمعاني، ومن حيث المعارف اللغوية والعقلية والذوقية، الكلية منها والجزئية، والتي اعتمد عليها في الكشف عن تفاصيل المنظومة القرآنية التي بها يظهر الاعجاز، وتتكشف دقائق خصائص الاسلوب القرآني التي خالفت خصائص التعبير العربي البليغ قبله، والتي حيرت البلغاء، واخرست الفصحاء ، ليحق عليهم التحدي المعجز الى يوم القيامة«(١٣).

وبحق، فإن رسالة (اشارات الاعجاز) تعد بحثاً قيماً في إثبات هذا الوجه من وجوه اعجاز القرآن من خلال امثلة تطبيقية على عدد غير قليل من الآيات مع ملاحظة ان النورسي كتب هذه الرسالة في ظل ظروف صعبة قاسية، اثناء مشاركته في معارك الحرب العالمية الاولى، فكانت رسالة مميزة في اسلوبها ومنهجها وظروف تأليفها.

٢- الايجاز: يرى النورسي ان الايجاز هو الوجه الثاني من وجوه الاعجاز القرآني بعد النظم وقد ذكر ذلك في اكثر من موضع، منها مثلاً قوله: »ان اهم اساس في اعجاز القرآن المبين هو الايجاز بعد بلاغته الفائقة، فالايجاز اهم اساس لاعجاز القرآن واقواه فهذا الايجاز المعجز في القرآن الكريم كثير ولطيف جداً في الوقت نفسه بحيث ينبهر امامه اهل العلم والتدقيق« (١٤). ثم اورد عدة امثلة من الايجاز في عدد من الآيات (١٥).

٣- فصاحة ألفاظ القرآن الكريم وجامعيتها: ذكر النورسي الفصاحة في اكثر من موضع كما ذكر الجامعية في لفظ القرآن ومعانيه وعلومه ومباحثه واسلوبه، وقد ضممت الجامعية في اللفظ الى الفصاحة، لما بينهما من تداخل وتقارب، وللنورسي عبارات متعددة يبين فيها هذ الوجه من الاعجاز من خلال فصاحة الفاظه وان لكل كلمة بل لكل حرف بل حتى لسكون احياناً وجوهاً كثيرة جداً. (١٦) وذكر لذلك عدداً من الامثلة. (١٧)

٤- الاسلوب البديع: اشار النورسي الى ان البداعة الخارقة في اسلوب القرآن الكريم تعد احد وجوه اعجازه. فـ» اساليب القرآن الكريم غريبة وبديعة كما هي عجيبة ومقنعة، لم يقلد احداً قط ولا يستطيع احد ان يقلده فلقد حافظ وما يزال على طراوة اساليبه وشبابيته وغرابته مثلما نزل اول مرة«(١٨).

٥- براعة البيان: فبيان القرآن الكريم في اعلى مراتب طبقات الخطاب، وقد اشتملت رسالة (المعجزات القرآنية) على عدد من الامثلة التي تبين هذا الوجه.(١٩)

٦- بلاغة المعنى لم يتوسع النورسي في حديثه عن هذا الوجه، واكتفى باشارات مختصرة تفيد جزمه به على انه احد وجوه الاعجاز.(٢٠)

٧- العلوم والمعارف المذكورة فيه:

يندرج تحت هذا الوجه عدد من الامور، فمن وجوه اعجاز القرآن الكريم احتواؤه على إشارات مجملة تتعلق بحقائق علمية، ما زالت تتكشف وتظهر من خلال التقدم البشري.

وقد لفت الاستاذ النورسي الانظار الى ان معجزات الانبياء السابقين المذكورة في القرآن الكريم يمكن ان تؤخذ منها اشارات ومفاتيح تشوق البشر وتشجعهم على العمل للوصول الى اشباهها، »كأن القرآن بتلك القصص يضع اصبعه على الخطوط الاساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر للترقي في الاستقبال الذي يبنى على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل،

وكأن القرآن يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع قائلاً له: اسع واجتهد في الوسائل التي توصلك الى بعض تلك الخوارق«(٢١)

»فمثلاً : ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر (سبأ: ١٢) هذه الآية الكريمة تبين معجزة من معجزات سيدنا سليمان عليه السلام، وهي تسخير الريح له ، اي انه قد قطع في الهواء ما يُقطع في شهرين في يوم واحد، فالآية تشير الى ان الطريق مفتوح امام البشر لقطع مثل هذه المسافة في الهواء. فيا ايها الانسان، حاول ان تبلغ هذه المرتبة، واسع للدنو من هذه المنزلة ما دام الطريق ممهداً امامك، فكأن الله سبحانه وتعالى يقول في معنى هذه الآية الكريمة:

ان عبداً من عبادي ترك هوى نفسه، فحملته فوق متون الهواء، وانت ايها الانسان؛ إن نبذت كسل النفس وتركته، واستفدت جيداً من قوانين سنتي الجارية في الكون، يمكنك ايضاً ان تمتطي صهوة الهواء« (٢٢).

ويظهر للقارئ من خلال كلام النورسي في هذا الموضوع حماسه الشديد له، وقناعته التامة به، ضمن كلام لطيف طيب (٢٣)، لم يُسبق اليه - فيما اعلم - .

ومما يندرج تحت هذا الوجه: إخبار القرآن عن الغيوب، حيث نجد الآيات تخبرنا عن عدد من الامور الغيبة، التي ليس في مقدور البشر الوصول اليها ومعرفتها بجهدهم البشري، ومنها: غيب الماضي، وغيب المستقبل - بأنواعه الكثيرة - والغيب المتعلق بالحقائق الالهية والحقائق الكونية والامور الاخروية.(٢٤)

ويشير النورسي الى كثرة ما يتعلق بالاخبار عن الغيب في الآيات القرآنية في قوله: »فالاخبار الغيبي الذي هو احد انواع اعجاز القرآن له لمعات اعجازية كثيرة وكثيرة لا تعد ولا تحصى ، لذا فان حصر اهل الظاهر تلك الاخبارات الغيبية في اربعين او خمسين آية فقط انما هو ناشئ من نظر ظاهري سطحي بينما في الحقيقة هناك ما يربو على الالف منها، بل قد تكون في آية واحدة فقط اربعة او خمسة اخبار غيبية« (٢٥). الا انه لم يذكر امثلة تؤكد ما ذكره في هذا النص.

وتحدث النورسي عن وجوه اخرى للاعجاز يمكن ان تدرج ضمن هذه الوجوه،ومنها ما هو نتيجة او ثمرة لهذه الوجوه، ويبين الجدول التالي وجوه الاعجاز المذكورة في رسالة (المعجزات القرآنية).

ويبقى بعد ذلك ، عدد من الامور تردد النورسي في تقرير انها من وجوه الاعجاز او انفرد بها، - وفيها نظر - وقد خصصت للحديث عنها المبحث التالي.

المبحث الثاني

اوجه الاعجاز التي تردد او توقف او انفرد بها النورسي

يهدف هذا المبحث الى بيان اوجه الاعجاز التي تردد النورسي في عدها من وجوه اعجاز القرآن الكريم، او اختلف كلامه عنها من موضع لآخر، او التي لم يجزم بانها من وجوه الاعجاز، او انفرد بها، وفيما يلي بيانها:

١- تعرض النورسي للحديث عن (الصرفة) - وهي احد وجوه اعجاز القرآن عند جماعة من المؤلفين. او وجه الاعجاز الوحيد عند بعضهم - (٢٦). في رسالة (المعجزات الاحمدية) اثناء رده على احد الاسئلة بقوله: »هناك مذهبان في بيان اعجاز القرآن:

المذهب الاول: وهوالغالب والراجح وهو مذهب الاكثرية من العلماء وهو ان لطائف بلاغة القرآن ومزايا معانيه هي فوق طاقة البشر.

اما المذهب الثاني: وهو المرجوح فهو ان معارضة سورة واحدة من القرآن ضمن طاقة البشر الا ان الله سبحانه قد منعها عن الخلق ليكون معجزة الرسول ﷺ. ويمكن ان يوضح هذا بمثال: ان قيام الانسان وقعوده ضمن قدرته ونطاق استطاعته، فإن قال نبي كريم لشخص ما: لا استطعت من القيام اظهاراً للمعجزة ولم يستطع الشخص من القيام فعلاً فقد وقعت المعجزة.

يطلق على هذا المذهب المرجوح: مذهب الصرفة، اي ان الله سبحانه هو الذي صرف الجن والانس عن القدرة على المعارضة فلو لم يصرفهم الله سبحانه عن الاتيان بالمثل لكان الجن والانس بمقدورهم الاتيان بمثله«(٢٧)

ان من يقرأ هذا النص يجد ان النورسي لم يجزم برد المذهب الثاني بل عده وجهاً مرجوحاً فقط. كما علق عليه بعبارات تفيد رضاه عنه، حيث قال: »وهكذا فالعلماء الذين يقولون وفق هذا المبحث « لا يمكن معارضة القرآن حتى بكلمة واحدة« هو كلام حق لا مراء فيه؛ لان الله سبحانه قد منعهم عن ذلك اظهارًا للاعجاز، فلا يستطيعون اذن ان يتفوهوا بشئ للمعارضة، ولو ارادوا قول شئ ما للمعارضة فلا يقدرون عليه من غير ارادة الله ومشيئته«(٢٨).

وبهذا نرى ان النورسي قد تردد في هذا الوجه من وجوه الاعجاز، ففي الوقت الذي يراه فيه مذهباً مرجوحاً يقرر احتمالية وجواز ان يكون هو وجه الاعجاز ، وليته كان قوياً في رده على هذا المذهب وابطاله وخرج من التردد فيه، حيث لم يبق من القائلين به احد، وكاد ان يحصر في ثنايا الكتب.

٢- اشار النورسي في اكثر من موضع الى قضية (تناسق الالفاظ) في القرآن الكريم، وتردد في جعله احد وجوه الاعجاز، وان ظهر من كلامه اعجابه به، وقناعته بانه من وجوه الاعجاز، ولعله شعر بعدم كفاية الادلة التي ذكرها والمسوغات التي ارتآها فتردد في إثباته.

ومما قاله في هذا الامر:

»ان هذه الكرامة الاعجازية ليست من نوع درجة الاعجاز القرآني من حيث البلاغة، لان البشر في الاعجاز القرآني البلاغي يعجز كلياً عن ان يبلغ درجة بلاغة القرآن بسلوكه طريق البلاغة، اما هذه الكرامة الاعجازية فإنها لا يمكن ان تحصل بقدرة البشر، فالقدرة لا تتدخل فيها« (٢٩).

وقال بعد ذلك: » لقد كتب هذا القسم لاستشارة اخواني في خدمة القرآن، وليكون تنبيهاً لي، لانفاذ ما كنت احمل من نية مهمة حول كتابة مصحف شريف يظهر فيه نقش اعجازي؛ وهو قسم من مئتي قسم من اقسام اعجاز القرآن الكريم فعرضت لهم تلك النية لمعرفة آرائهم حول كتابة ذلك المصحف الشريف الذي يبين النقش الاعجازي مع الاعتماد على المصحف المكتوب بخط الحافظ عثمان واتخاذ آية المداينة وحدة قياس لطول الصفحة وسورة الاخلاص لطول السطر« (٣٠).

وكان قبل ذلك قد جزم بهذا الوجه من وجوه الاعجاز وذكر له امثلة، وذلك في رسالة (المعجزات الاحمدية) حيث قال: »نحصل مما سبق: ان القرآن الكريم لا يدع احداً محروماً من تذوق اعجازه، فلكل طبقة من اربعين طبقة من الطبقات المتباينة للناس لهم حظهم من هذا الاعجاز او يشعرهم القرآن بإعجازه ، حتى انه يبين نوعاً من اعجازه لاولئك الذين ليس لهم نصيب من العلم ولا يملكون سوى الرؤية من دون القدرة على الاستماع او الفهم او الادراك القلبي، وذلك كالآتي: ان كلمات المصحف المطبوع بخط (الحافظ عثمان) تتقابل وينظر بعضها الى بعض، فمثلاً : ان كلمة (وثامنهم كلبهم) التي هي في سورة الكهف تناظر كلمة: (قطمير) التي هي في سورة فاطر، فلو ثقبت الصفحات ابتداءً من الكلمة الاولى ، لتبينت الكلمة الثانية بانحراف يسير ولفهم اسم الكلب، وكذا كلمة (محضرون) المكررة مرتين في سورة يس ، نرى احداهما فوق الاخرى ، وهما يقابلان كلمة (محضرون)، و(محضرين) التي في آخر سورة الصافات، فاذا ما ثقبت احداها لظهرت من خلال الصفحات الكلمة نفسها مع انحراف قليل.

وكذا كلمة (مثنى) التي هي في آخر سورة سبأ تنظر الى الكلمة نفسها التي هي في مستهل سورة فاطر، ففي القرآن تتكررکلمة (مثنى) ثلاث مرات، وتناظر اثنتان منها ليس موضع المصادفة قطعاً.

ولهذا النوع من التناظر والتقابل امثلة كثيرة جداً في المصحف الشريف ، حتى ان الكلمة الواحدة تتكرر في ما يقرب من ست مواضع ، فإذا اوصل بينها بثقب لتراءت الاخريات بانحراف يسير.

ولقد شاهدت مصحفاً خطت الجمل المتناظرة في كل صحائفه المتقابلة بخط احمر ، فقلت آنذاك : هذه الاوضاع انما هي

امارات لنوع من الاعجاز ، ثم بعد ذلك اخذت انظر الى جمل القرآن الكريم فرأيت ان كثيراً منها تتناظر من خلال الصفحات تناظراً ينم عن معنى دقيق.

ولماكان ترتيب القرآن المتداول توقيفياً بإرشاد من الرسول ﷺ ، وقد خطه خطاطون ملهمون، فإن في نقشه البديع وفي خطه الجميل اشارة الى نوع من علامات الاعجاز، وذلك لان هذا الوضع لا يمكن ان تكون مصادفة ولا نابعة من نتاج فكر انسان ، فلولا قصور الطبع لطابقت الكلمات المتناظرة مطابقة تامة.

ثم اننا نرى ان في السور المدنية المطولة والمتوسطة تكراراً بديعاً منسقاً للفظ الجلالة (الله) فهو في الغالب يتكرر باعداد معينة، اما خمس او ست او سبع او ثمان او تسع مرات، او احدى عشرة مرة، فضلاً عن انه يبين مناسبة عددية لطيفة على وجهي ورقة المصحف والمتقابلتين« (٣١)

ففي هذا الموضع يؤكد النورسي هذا الوجه، ويمثل له، ويظهر من خلال حديثه عنه اعجابه به وجزمه بأنه احد وجوه اعجاز القرآن، الا ان ما ورده في هذا النص عليه ملحوظات عديدة، منها:

أ- ورد لفظ (محضرون) في سورة يس في ثلاثة مواضع (في الآيات ٣٢،٥٣،٧٥) لا في موضعين.

ب- اختلف في اسم كلب اهل الكهف على اربعة أقوال (٣٢)، احدها : قطمير . فلا يجزم به.

ج- رجعت الى عدد من الفاظ القرآن الكريم الواردة في نحو ستة مواضع، وهي الفاظ (أيان)، و(الزبر) وقد وردتا في ستة مواضع، و(زكريا) في سبعة مواضع، و(سعى) في خمسة مواضع ، وقابلت بين مواضع كل منها على مثيل نسخة المصحف التي اعتمدها النورسي وهي نسخة (الحافظ عثمان) (٣٣)، فوجدت في عدد منها شيئاً من التوافق الذي اشار اليه بين مواضعها في الصفحات ، وفي عدد آخر منها لا يظهر اي توافق.

د- كما رجعت الى عدد من الصفحات من اجل ما ذكره اخيراً عن التوافق في لفظ الجلالة في السور المدنية المطولة والمتوسطة، وعددت مرات تكرر لفظ الجلالة في كل صفحة منها، وفي الصفحات المتقابلة، وكانت النتيجة كالتالي:

السورة	رقم الصفحة	عدد مرات لفظ الجلالة	رقم الصفحة المقابلة	عدد مرات لفظ الجلالة
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
النساء				
محمد				
محمد				

وقد لوحظ من خلال هذا عدم التطابق التام مع ما ذكر في الفقرة الاخيرة.

وبناءً على ما سبق من تردد النورسي في اثبات هذا الوجه ، وعدم قدرته على الاقناع به لقلة الامثلة التي يمكن ان تصدق عليه، ولقدرة الكتاب والمؤلفين والشعراء على الاتيان بمثله بل وحصول ذلك مع النورسي نفسه في عدد من رسائله، وفي اكثر من لفظ. ومن اكثر من كاتب(٣٤) لا يُسلم بأن (التناسق اللفظي) يمكن ان يعد وجهاً من وجوه اعجاز القرآن الكريم.

٣- اشار النورسي الى قضية (التناسق العددي) بين عدد من الفاظ القرآن الكريم ، وجعل الحديث عنه تابعاً للحديث عن التناسق اللفظي الذي كان يرى فيه (نقشاً اعجازياً) وواحداً من الوجوه الاربعين للاعجاز (٣٥).

وقد ذكر في المكتوب التاسع والعشرين امثلة من التناسق العددي في القرآن الكريم، حيث ذكر: ان لفظ الجلالة (الله) ورد في مجموع القرآن الكريم: ألفين وثمان مئة وست مرات، وورد لفظ (الرحمن) مع ما في البسملة - مئة وتسعاً وخمسين مرة، وورد لفظ (الرحيم) مئتين وعشرين مرة، ولفظ (الغفور) احدى وستين مرة، وورد لفظ (الرب) ثمان مئة وستاً واربعين مرة، ولفظ (الحكيم) ستاً وثمانين مرة ولفظ (العليم) مئة وستاً وعشرين مرة، ولفظ (القدير) احدى وثلاثين مرة ، ولفظ (هو) في (لا اله الا هو) ستاً وعشرين مرة (٣٦).

ثم ذكر اموراً مبنيةً على هذه الارقام مثل: ان مجموع عدد لفظ الجلالة مع عدد الفاظ (الرحمن والرحيم والعليم) مع عدد من لفظ (هو) في (لا اله الا هو) هونصف آيات القرآن ايضاً ، والفرق اربعة اعداد. (٣٧)

وذكر علاقة بين آيات بعض السور وعدد لفظ الجلالة فيها مثل: »ان عدد لفظ الجلالة (الله) في سورة البقرة مساوٍ لعدد آياتها والفرق اربعة اعداد، وهناك اربعة الفاظ من (هو) بدلاً عن لفظ (الله) كما هو في (لا اله الا هو) وبها يتم التوافق.

وان عدد لفظ الجلالة (الله) في سورة آل عمران متوافق مع عدد آياتها ويساويها، ولكن لفظ (الله) ورد في مئتين وتسع آيات بينما عدد آيات السورة مئتا آية ، فالفرق إذن تسع آيات، ولا تخل الفروق الصغيرة في مثل هذه المزايا الكلامية والنكات البلاغية، اذ تكفي التوافقات التقريبية... (٣٨).

ان الارقام المذكورة في هذه النصوص غير دقيقة، حيث ورد هنا ان لفظ الجلالة تكرر ألفين وثمان مئة وست مرات، والصواب: الفين وثمان مئة وعشر مرات، هذا مع حساب عدد مرات وروده في البسملة، حيث اشار النورسي عند ذكر عدد مرات ورود لفظ الرحمن الى انه ادخل البسملة في العدد، مع ان البسملة في اوائل السور ليست من القرآن الا في سورة الفاتحة ففيها خلاف. (٣٩)

اما لفظ (الرحمن) فقد ورد مئة وتسعاً وستين مرة، و(الرحيم) مئتين وسبع مرات، و(الغفور) احدى وتسعين مرة، و(الرب) تسع مئة واحدى وسبعين مرة، و(الحكيم) سبعاً وتسعين مرة، و(العليم) مئة واثنتين وستين مرة، و(القدير) خمساً واربعين مرة، اما عدد مرات لفظ (هو) فصحيح.

وعليه فما بني على هذه الارقام من حسابات لن تكون صحيحة لبنائها على خطأ.

اما عدد مرات ورود لفظ الجلالة في سورة البقرة وهو مئتان واثنتتان وثمانون فصحيح، ولكن لفظ (هو) في (لا اله الا هو) لم يرد في سورة البقرة الا مرتين، وورد لفظ (هو) مراداً به الله سبحانه في ست مرات اخرى ، وعليه فالعدد المذكور في النص غير دقيق.

كما انه قد تم حساب عدد هذه المرات بناءً على عد آى السور وفق ما ذهب اليه علماء العدد الكوفيين ، وعدم النظر الى عدد الآي عند بقية علماء العدد (٤٠).

وهناك أرقام اخرى ذكرت في غير هذا النص غير صحيحة ايضاً، منها ان عدد مرات ورود لفظ (القرآن) تسع وستون مرة (٤١) والصواب ثمان وخمسون وان عدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف وست مئة وست وستون(٤٢)، والصواب: ستة آلاف ومئتان وست وثلاثون، وهذا على حسب العدد الكوفي وهوالمعتمد في المصاحف المطبوعة - كما ان عدد الآيات عند علماء العدد الاخرين لم يقع قريباً ولا مشابهاً للعدد المذكور(٤٣).

وبناءً على ما سبق من تردد النورسي في اثبات هذا الوجه ، وعدم دقة الارقام المذكورة فيه، ووجود فروق ولو يسيرة بينها، ووقوع امثاله في كلام البشر، كما حصل في عدد من رسائل النورسي(٤٤) فإن هذا الامر لا يرقى الى ان يعد احد وجوه اعجاز القرآن الكريم. ومما يجدر ذكره هنا ان عدداً من الباحثين يعدون التناسق العدد احد وجوه الاعجاز (٤٥) ولا يخلو

كثير مما يذكرونه من ملحوظات.

٤- اشار النورسي اشارة موجزة في هامش احدى صفحات رسالة المعجزات الاحمدية الى احد وجوه الاعجاز، او كما عبر عنه »سر من اسرار الاعجاز المعنوية« حيث قال: ان سراً من اسرار اعجاز القرآن الكريم المعنوية هو: ان القرآن يبين الدرجة العظيمة والساطعة لايمان الرسول الاعظم ﷺ الذي حظي بتجلي الاسم الاعظم، وكذا يبين ويعلم باسلوب فطري - كخارطة مقدسة مشهورة - تلك المرتبة السامية للدين الحق العظيم والواسع، والمبين للحقائق الرفيعة لعالم الآخرة وعالم الربوبية، وكذا يمثل القرآن الكريم: خطاب رب العالمين وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة، فلا بد ان تعبيراً فرقانياً بهذا الاسلوب، وبياناً قرآنياً بهذا النمط لا يمكن ان تأتي مثله عقول البشر قاطبة ولو اجتمعت في عقل واحد بمثل ما عبر القرآن الكريم: قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله (سورة الاسراء : ٨٨)

لانه لا يمكن من حيث هذه الاسس الثلاثة ان يقلد القرآن ولا ان يأتي بمثله أحدً ابدا(٤٦)

ان الاساس الثالث الذي ذكره النورسي في هذا النص وهو ان القرآن الكريم يمثل خطاب رب العالمين وهو في علياء عزته وعظمته وربوبيته المطلقة ذكره عدد من العلماء على انه احد وجوه الاعجاز وقد اشار اليه الخطابي من المتقدمين، ودراز وسيد قطب والبوطي وغيرهم من المتأخرين (٤٧).

ان حديث النورسي عن هذا الوجه من الاعجاز كان في غاية الاختصار، وعلى انه احد ثلاثة اسس تشكل بمجموعها سراً من اسرار الاعجاز المعنوية. وهو وجه حري بالدراسة والتأمل، والتوسع في الحديث عنه، والله اعلم.

من نتائج البحث

١- ان بديع الزمان سعيد النورسي كان من علماء الاعجاز المميزين، وله جهود طيبة عظيمة في بيان اعجاز القرآن الكريم، وقد احسن في صياغة افكاره، وترتيب عباراته.

٢- ان آراء واقوال النورسي في الاعجاز لم تلق بعد من العناية والاهتمام والدراسة ما تستحق، خاصة في الدراسات والمؤلفات حول الاعجاز في اللغة العربية.

٣- ان بعضاً مما اورده النورسي على انه من وجوه الاعجاز - وان لم يجزم به - لا يرقى الى ان يكون كذلك، كما لم يخل بعض ما اورده حول الاعجاز من تكرار كان يمكن تلافيه.

والله تعالى اعلى واعلم

الهوامش

١- اشارات الاعجاز، بتحقيق: احسان قاسم الصالحي (وكذا سائر الرسائل بتحقيقه وترجمته) ط الاولى - بغداد ١٤٠٩ هـ /١٩٨٩ ، ص ٨١.

٢- الكلمات ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م دار سوزلر - القاهرة / ص ٥٢٢

٣- الكلمات ، ص ٥٣١

٤-اللمعات ، ط دار سوزلر بالقاهرة، ص ٤٩

٥- المكتوبات، ط دار سوزلر بالقاهرة، ص ٥٢٢

٦- المكتوبات ، ص ٥٢٢

٧- المكتوبات ، ص ٥٢٣

٨- المكتوبات ، ص ٢٣٨

٩- المكتوبات، ص ٢٨١

١٠- اشارات الاعجاز ، ص ٢٩

١١- اشارات الاعجاز، ص ١٤١

١٢- اشارات الاعجاز، ص ٢٢٦

١٣- اشارات الاعجاز، ص ٥

١٤- المكتوبات، ص ٤٠٧

١٥- المكتوبات، ص ٤٠٨ و ٤٠٩ و انظر الكلمات ، ص ٤٦٠ - ٤٦٥

١٦- الكلمات، ص ٤٥١

١٧- الكلمات ، ص ٤٣٧ و ٤٥٢ - ٤٥٦

١٨ - الكلمات، ص ٤٣١

١٩- الكلمات ، ص ٤٣٩ و ٤٥٧

٢٠- انظر الكلمات، ص ٤٣٩ و ٤٥٧

٢١- اشارات الاعجاز ، ص ٣٠٢

٢٢- الكلمات ، ص ٢٨٠

٢٣- انظر : اشارات الاعجاز ٣٠١ - ٣٠٤ والكلمات ٢٧٧ - ٢٩٦

٢٤ - انظر : الكلمات ، ص ٤٦٨ - ٤٧١

٢٥- اللمعات ، ص ٤٩

٢٦- انظر: فكرة اعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر لنعيم الحمصي (ط موسسة الرسالة) ص ٥٤ و ٥٥ و ٦٣ و ٧٠ و ٨٦ و ١٣٧ و ١٦٦ و ١٩٨.

٢٧- المكتوبات ، ص ٢٤٥ و ٢٤٦

٢٨ - المكتوبات ، ص ٢٤٦

٢٩- المكتوبات ، ص ٤٨٩

٣٠ - المكتوبات، ص ٥٢٢

٣١- المكتوبات، ص ٢٤٠ - ٢٤٢، وقد راجعت جملة (وتناظر اثنتان..) مع النسخة الأخرى من رسالة المعجزات الأحمدية والمطبوعة منفردة فوجدتها كذلك، فلعله سهو من الكاتب أو على لغة من يلزم المثنى الألف.

٣٢- انظر : زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ط المكتب الاسلامي) ١٢٦/٥.

٣٣- له ترجمة في هامش ص ٥٢٢ من المكتوبات.

٣٤- انظر : المكتوبات ، ص ٤٨٨ - ٤٩٤

٣٥- انظر المكتوبات ، ص ٥٢٣

٣٦- انظر المكتوبات ، ص ٥٢٤

٣٧- انظر: المكتوبات ، ص ٥٢٥

٣٨- انظر: المكتوبات، ص ٥٢٥

٣٩- انظر : القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز لرضوان المخلالاتي (ط: المدينة المنورة) ص ١٦١.

٤٠- انظر في عدد آيات سورة البقرة والاختلاف فيها : القول الوجيز، ص ١٦٤

٤١- انظر المكتوبات ، ص ٥٢٤

٤٢- انظر : الكلمات ، ص ٥١٨ ، والمكتوبات هامش ص ٥٢٤

٤٣- انظر : القول الوجيز ١٠١ - ١٠٤

٤٤- انظر : المكتوبات، ص ٤٨٩، واللمعات ص ٢٢٣ و ٢٢٤

٤٥ - مثل : محمد رشاد خليفة في رسالته (عليها تسعة عشر) ، وعبد الرزاق نوفل في كتابه (معجزة الارقام والترقيم في القرآن الكريم)، وصدقي البيك في كتابه (معجزة القرآن العددية) ، وبسام جرار في كتابه (اعجاز الرقم ١٩ في القرآن الكريم مقدمات تنتظر النتائج) وغيرهم ، وانظر ماذكره د. صلاح الخالدي عن هذا الامر في كتابه (البيان في اعجاز القرآن) ص ٣٥٥ - ٣٧٧.

٤٦- المكتوبات ، ص ٢٤٢ ، هامش (٢)

٤٧- انظر: فكرة اعجاز القرآن ، ص ٦٤، ٣٤٣، ٤٢٩، واعجاز القرآن الكريم د. فضل حسن عباس ، ص ٣٤٥ - ٣٤٩